ما أرخص الإنسان في بلدي

حلمي صابر 1443هـ



- هل عندك جواب لسؤالي أيها الوزير
- لِمَ تركت المجرم وحبستني ؟
- أنا لم اختلسْ
- ذاك المختلسُ
- كل الأمور تنتهي عند طاولتك
- البريءُ والمتهم والغني والمفلس
- تضع المتهمَ في الفندق
- والمظلومَ مكانه الحبس
- طاولتك وما أدراك ما طاولتك
- الرفع والخفس
- والصفع والرفس
- وجاء وزيرٌ جديد ولعب بالقديم والجديد
- ما كان محرما، صار حلالا
- والحلال ما حلَّ باليد !
- من خوَّلكَ هذا ؟ لِمَ حبستني ؟!.

- أحببتُ أن أعرِفَ الجواب
- قبل الفجرِ طرقٌ شديد
- لحظةً
- سيسقطُ الباب ولو كان من حديد
- سألني: أأنت حلمي صابر ؟
- نعم
- جروني من ثيابي
- شدوا على رقبتي
- تذكرتُ أضحية يوم العيد، لكننا كنا أرفق بها
- اسمك وعمرك ومهنتك بدأ التحقيق ؟
- قلتُ لنفسي: لم أصلي الفجر
- تسألني الصلاة - في قلبي - مُنبِهها رنْ
- أريدُ أن أصليَّ يا محقق التحقيق
- لسعني بكف
- كان هذا منبهي
- اسمك وعمرك ومهنتك ؟
- اسمي صابر
- سألني: وأين حلمي ؟
- قلت هذا أنت تعرفُ اسمي أحسنَ مني
- مهنتك: متسائل
- عمرك: بلا عمر ضاع عمري في الخوف
- ما سؤالك: سؤالي من أعطاك الحق لتجرني من بيتي كالنعجة
- لم أسالكَ هذا، ما سؤالك الأصلي ؟ : من أعطى الوزير الحق في أن يجعلنا كالنرد
- نَرْدُهُ ناعمةٌ ملساءَ بلا رقمٍ أو عد
- على أي جهة انقلبت، غيرُ مهم !
- لأن الحكم مُعَدٌّ ، وسيعدِّي ، وسيجرفني !
- ألم أقل لك لَعِب بنا
- أشدُّ من لعبه بالنردِ
- اخرسْ وإلا قطعتُ لسانك

- سألتُه : سألتَ الوزير ؟
- أجابني: الوزيرُ لا يسأل
- وهل أجابه ؟
- صفعني بكف
- كانت يديّ حرةً
- فرددتُ الكفَّ بكف
- جُنَّ جنونه
- وجُنّ جنونهم
- صفعَ المحققَ بكف !
- ما تعجبوا: لِمَ صفعني هو بكف، فله الحق أن يصفعني بقدمٍ وكف
- العدلُ متوقفٌ هنا !
- والقانونُ زينةٌ على الرف
- والقاضي قانونه كقماشٍ يخيطه و يدعسه ويلفه لف
- والجلاد: كفٌ وسوطٌ ورفسٌ ودعسٌ وعصف
- أخذوني وعلقوني مقلوبا
- ومنعوا مني البول
- سؤالاً لا زلت أسأله
- من أعطاهم هذا الحق ؟
- لا زلتُ حائرا
- حُكِم عليَّ بعشر سنوات في سجن العقرب
- وعليها ثلاث سنين للكف
- المسجونون ستون ألف
- ربما مائة ألف
- غرفتنا تتسع لخمسين
- المحبوسُ فيها ألف
- طبيبٌ وجراحٌ ومهندس ونجار ومزارع ومحاسب وعالم وطالب وطفل وشيخ
- وأين المحامي ؟
- هل سألتَ: عن المحامي الذي دافع عنا !
- إنه في زنزانة أخرى من تغطيسه في الماء البارد يرجف

- لا زال السؤال أكره
- أرنِي تهمتي
- دعْكَ من القاضي
- هو الذي زاد الثلاث سنين على العشرِ للكف
- وبرَّأ المحقق من كفه للكف
- تهمتي : أَنني سألتُ الوزيرَ
- نقلوني إلى غوانتانامو
- بعد سنتين
- سألني: أأنت الذي سألَ الوزير ؟ أجبته: نعم
- صفعني
- تعلموا الدرس
- كانت يداي مربوطتان
- وفمي أيضا بالسَّحاب مُرَّبط
- لماذا أنا هنا ؟
- تساءلتُ
- وسؤالي: من أعطى الوزير الحق
- في أن يعبثَ بالإنسان والأرض
- هدمَ البيت
- وبنى القصرَ
- شبابٌ ينقلون من حبسٍ إلى حبس
- وأمهاتٌ جِعنَّ
- عملنَّ خادماتٍ في البيوت، بعدَ أن كنَّ في العين وعلى الرأس
- أيها الوزير من أعطاك هذا الحق
- لتعبثَ هذا العبث
- سرقتَ النقد
- وسلبتَ الأرض
- وهدمتَ البيت
- وأضعتَ البلد
- وضيعتَ الأم والأب والولد

- الأمُ صارت خادمةً
- والأبُ من الخوف هاجر وهرب
- وأنا بين يديكم معذبا مكبَّلا الولد
- قال المحققُ في غوانتانامو إن لم تخرس
- سنرسلك إلى سوريا أو ليبيا لتصفيتك
- فهناك المختصون بالقتل
- كررتُ سؤالي إلى المحقق من أعطاك هذا الحق
- كل هذا عبث
- صفعني وبصق عليَّ
- وُضعِتُ في صندوق وأُرسلتُ إلى سوريا
- بقي رمقٌ أخير، أنهوا عليه في ليبيا
- يا فرحتي !. ما أبقوا شيئا للبلاد الأخرى العربية
- قال البردوني : ما أرخص الإنسان في بلدي
- هل عادتْ يا بردوني بلدي، بلدي ؟!
- وهذا أنا في كفني
- من أعطاك أيها الوزير هذا الحق
- أن تعبث بالإنسان والدين والأرض
- سؤال جوابه - وأنا في القبر - حيرَّني
- من أعطاك الحق لتحبسني !
- إن كان جوابك: العبث !
- فجوابكَ، ريَّحني .

انتهى